# الفصل الثاني

# لماذا العودة إلىٰ العهد الأول؟

في القاعة الأولىٰ من مكتبة الأسد بدمشق ، وفي قسم التفسير ، يوجد كمية كبيرة من كتب التفسير ، منها القديم ومنها الحديث ، وفي كل عام تطالعنا المطابع بشيء جديد يتعلّق بأمور التفسير.

ولو استعرضنا بعضاً من هذه التفاسير ، لرأينا أمراً عجباً!! فبعض هذه التفاسير تكلّمت عن كل شيء ، جامعةً أموراً كثيرة ، لكن كما قال أحد العلماء: فيها كل شيء إلا تفسير القرآن الكريم!!

لكن وقبل الدخول في الحديث التفصيلي عن الأمور التي حُشي بها التفسير ، نذكر بعض الموجود من التفاسير:

تفسير الإمام الطبري ، المسمىٰ جامع البيان في تأويل القرآن ، وهو مطبوع (١٢ مجلداً) ، وإرشادات العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم للعلامة أبي السعود: (٥ مجلدات) ، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين النيسابوري: (٦ مجلدات) ، والتفسير الكبير مفاتيح الغيب ، للإمام الرازي: (٣٤ مجلداً) ، والتفسير الفريد للقرآن المجيد ، لمحمد عبد المنعم الجمال: (١٦ مجلداً) ، ومحاسن التأويل ، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي: (١٧ مجلداً) ، وتفسير القرآن العظيم ، للعلامة عماد الدين بن كثير: (٧ مجلدات) ، وتفسير القرآن وإعرابه وبيانه ، لمحمد علي طه الدرة: (١٦ مجلداً) ، الجامع لأحكام القرآن ، للعلامة محمد أحمد الأنصاري القرطبي:

(١٠ مجلدات) ، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلي ، (١٧ مجلداً) ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للعلامة عبد الله النسفي ، (٤ مجلدات) ، وتفسير البحر المحيط ، للعلامة أبي حيان الأندلسي: (٩ مجلدات) ، ومعالم التنزيل ، للعلامة أبي محمد الحسين الفراء البغوي: (٤ مجلدات) ، والتفسير الحديث ، لمحمد عزة دروزة ، (١٢ مجلداً) ، الدر المنثور في التفسير المأثور ، للحافظ السيوطي: (٨ مجلدات) ، زاد المسير في علم التفسير ، للعلامة ابن الجوزي: (٨ مجلدات) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي: (١٤ مجلداً) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة الآلوسي: (١٧ مجلداً) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، للعلامة الطبرسي: (١٠ مجلدات) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للإمام الشوكاني (٦ مجلدات) ، التبيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر الطوسي: (١٠ مجلدات) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للعلامة الشنقيطي: (٩ مجلدات) ، تفسير التحرير والتنوير ، للعلامة محمد الطاهر عاشور: (١٥ مجلداً) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ، للعلامة الزمخشري (٦ مجلدات) ، إضافة إلىٰ تفسيرات كثيرة ، وخاصة التي تتحدث عن موضوع ما ، أو سورة ما ، أو زاوية فقهية ما . !!

إذاً: لماذا العودة إلىٰ التفسير في عهد النبي ﷺ ، وعهد صحابته والتابعين ، بعدما رأينا هذا الكمّ الهائل من كتب التفسير في هذه الأيام؟!

وفي الجواب نقول بحول الله وقوته:

إن في كتب التفاسير بدعاً وموضوعات وإسرائيليات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يحتجّ بها واحدٌ من أنصاف المتعلمين ، علىٰ أن هذه

ليست إلا روايات مبثوثة في كتب التاريخ والتفسير لا تقدّم ولا تؤخر.

ذلك لأن الواقع قد أثبت بما لا شك فيه أبداً أن لهذه الموضوعات والبدع والإسرائيليات آثاراً مدمرة فتاكة ، بحيث كان لها الدور الكبير في تمزيق المجتمع المسلم إلىٰ أحزاب وفرق وشيع ، من حيث الجدل العقيم الذي دار بين المسلمين حول الجبر والقدر والاختيار والحاكمية ونحو ذلك ، وما قضية خلْق القرآن عن الباحثين ببعيد!!

إضافةً إلىٰ تشويش الحركة الثقافية الإسلامية ، بحيث أوردها أناس كبار علماء في كتبهم وتفسيراتهم ، واحتجّوا بها في محاضراتهم وعلىٰ المنابر وفي مسائل الوعظ ، فتلقّفها الناس وخاصة العوام ، علىٰ أساس أنها من المسلّمات التي لا غبار عليها ، وهي في واقع الحال كذب وبدع!!

وكان نتيجة ذلك تراكمات في كتب التفسير ، واضطر علماء التفسير إلىٰ نقل بعضها ، أو الردّ علىٰ بعضها ، أو التبرير لبعضها ، مما أبعد كتب التفسير عمّا أُوجدت من أجله ، فأصبح بعضها ـ كما قيل ـ يحوي كل العلوم عدا تفسير القرآن الكريم!!

وهكذا فُتح باب الدسّ علىٰ مصراعيه ، لينقضّ المستشرقون والحاقدون علىٰ هذا الدين؛ رافعين ألوية التشكيك وزعزعة الثقة بأمثال هذه الكتب ، فراحوا يشوهون حقائق الدين مستدلين بأقوال بعض هؤلاء المفسرين ـ سامحهم الله ـ .

ثم تلقّف هذه القضية بعض جهلة المسلمين ـ والذين لا يميّزون بين الغثّ والسمين ـ فسلّطوا الأضواء الكاشفة علىٰ بعض هذه البدع ليستخفّوا من خلالها بما جاء به الإسلام ، وليقولوا للناس: إن هذا الدين يخالف المنطق والعقل والعلم!!

أجل: فقد كان لهذه البدع والإسرائيليات والموضوعات أثر عظيم

في تأخّر المسلمين وتخلفهم ، وذلك من خلال انشغال كثير من علمائهم بالرد علىٰ هذا الهراء ، وتبيان الحقيقة الساطعة من خلال الرجوع إلىٰ علوم مضبوطة: كالجرح والتعديل ، وروايات التاريخ ، وتبيان الصحيح من الموضوع في كتب الأحاديث النبوية ، ونحو ذلك.

من هنا نقول:

ما هي الفائدة المرجوة من هذه النقولات الكبيرة والكثيرة ، وهي محض افتراء وكذب ؟ ولماذا شغل أولئك المفسرون أنفسهم بأمثال هذه الإسرائيليات والبدع في التفاسير والموضوعات ، ثم شغلوا من بعدهم بها أيضاً؟!

ورحم الله المفسر الكبير أبا حيان الأندلسي الغرناطي (ت: ٧٥٤ هـ) عندما قال عن كتب التفاسير:

وكذلك ذكروا ما لا يصحّ من أسباب النزول ، وأحاديث في الفضائل ، وحكايات لا تناسب ، وتواريخ إسرائيلية ، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير[1].

ثم ما هي الفائدة من ذكر طائفة كبيرة من الروايات ـ كما في تفسير الطبري ـ قد يكون بعضها غير صحيح ، علىٰ الرغم من أنه رحمه الله تعالىٰ ذكر أسانيد الروايات؟!

ما دام أنه لم يبين المجروح من رجال السند ولا المعدّل منهم ، فكيف ـ ونحن في عصر قلّت فيه الخبرة لدىٰ الناس في أمثال هذه العلوم ـ يتعرَّف القارئ في تفسير الطبري علىٰ الرواية السقيمة من الرواية الصحيحة؟!

ألا يكفي لمستشرق أو حاقد أو جاهل أن يقول أمراً غير صحيح ؟! ألا يكفيه أن يسند رأيه بتفسير جليل لإمام كبير هو تفسير الطبري؟!

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ١/ ٥.

أليس في كتب التراث مرويات صحيحة وحسنة تغني عن أمثال هذه البدع والإسرائيليات؟

ورحم الله الحافظ ابن كثير عندما قال:

وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذي ينفون عنها تحريف الضالين ، وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد الذين دوَّنوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه ، من منكره ، وموضوعه ومتروكه ومكذوبه ، وعرفوا الوضّاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال ، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي ، خاتم الرسل سيد البشر ﷺ ، أن ينسب إليه كذب ، أو يحدّث عنه بما ليس منه ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات الفردوس مأواهم[1] .

وإتماماً للفائدة ، وتنبيهاً لبعض ما وقع فيه علماء التفسير ، سواء كان ذلك عن عمدٍ أو غيره ، أسوق بعض الإسرائيليات والموضوعات والبدع ، ناقلاً إياها من كتب التفسير المطبوعة ، راجياً الله تعالىٰ أن يسامح كل من نقل الإسرائيليات والبدع ، ولا يتسع المجال لسرد تلكم القصص والخرافات ، لذلك سأشير إلىٰ بعض الأماكن التي وردت فيها ، وسأنقل بعضها:

١ـ قصة مكذوبة عن النبي ﷺ ، وهي حتماً من الإسرائيليات التي أوردها الحافظ السيوطي في تفسيره (الدر المنثور): ١/ ٩٧ ـ ١٠٣ .

---

(١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: اختصار وتحقيق أحمد شاكر ، ط ١٩٥٦ دار المعارف: ١/ ١٦ ـ ١٧ .

وهي قصة يرفضها العقل السليم ، ويرفضها النقل الدقيق ، لذلك حكم السيوطي بوضعها في كتابه: اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: ١/ ٨٢، وكذلك فعل ابن كثير في البداية والنهاية: ١/ ٣٧.

والقصة جاءت في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ﴾[1].

لكن العجيب من واحد كالعلامة الحافظ السيوطي ـ وهو من هو من العلم والتمحيص والتحقيق ـ كيف يقبل وضع هذه القصة في تفسيره دون أن يعلّق عليها ولو بكلمة!!

**٢ـ قصة المسخ:**

ينقل الإمام السيوطي في تفسيره الدر المنثور: ١/ ١٠٣ ـ ١٠٥ رواية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ سُئل عن المسوخ ، فقال: هم ثلاثة عشر: الفيل ، والدب ، والخنزير ، والقرد ، والجريث ، والضب ، والوطواط ، والعقرب ، والدعموص ، والعنكبوت ، والأرنب ، والزهرة ، وسهيل.

فقيل: يا رسول الله ! وما سبب مسخهن؟ فقال:

أما الفيل: فكان رجلاً جباراً لوطياً ، لا يدع رطباً ولا يابساً ، وأما الدب: فكان مؤنثاً يدعو الناس إلىٰ نفسه ، وأما الخنزير: فكان من النصارىٰ الذين سألوا المائدة ، فلما نزلت كفروا ، وأما القردة: فيهود اعتدوا في السبت ، وأما الجريث: فكان ديوثاً ، يدعو الرجال إلىٰ حليلته ، وأما الضب: فكان أعرابياً يسرق الحاج بمحجنه ، وأما

---

(١) البقرة: ١٠٢.

الوطواط فكان رجلاً يسرق الثمار من رؤوس النخل ، وأما العقرب: فكان رجلاً لا يسلم أحد من لسانه ، وأما الدعموص: فكان نماماً يفرّق بين الأحبّة ، وأما العنكبوت: فامرأة سحرت زوجها ، وأما الأرنب: فامرأة كانت لا تطهر من حيضها ، وأما سهيل: فكان عشاراً باليمن ، وأما الزهرة: فكانت بنتاً لبعض ملوك بني إسرائيل افتتن بها هاروت وماروت!!

فهل يقبل مسلم أن تُحشىٰ كتب التفسير بأمثال هذه الخرافات وهذا الهراء؛ الذي لا يرقى إلىٰ درجة الخيال العلمي؟!

والعجيب أن الحافظ السيوطي ذكر هذه القصة من غير سند ، ولم يعلّق عليها بكلمة استنكار!!

**٣ـ بناء الكعبة:**

نقل المفسرون في قضية بناء الكعبة أموراً تشبه الأساطير ، وللتوسع يراجع: كتاب الدر المنثور للسيوطي: ١/ ١٢٥ ـ ١٣٧.

ومن ذلك ماروواه ابن جرير الطبري: عن عطاء بن أبي رباح قال: لما أهبط الله آدم من الجنة: كان رجلاه في الأرض ، ورأسه في السماء[١] يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ، يأنس إليهم ، فهابته الملائكة ، حتىٰ شكت إلىٰ الله في دعائها ، وفي صلاتها ، فوجه إلىٰ مكة ، فكان

---

(١) رحم الله ابن جرير ، كيف لم يحدثنا في هذه الرواية بشكل تفصيلي!!
هل كانت رجلاه في الأرض: أهذه هي الأرض التي نعيش عليها؟ ورأسه في السماء: في أي سماء هو؟ في الأولىٰ أم السابعة ، وكيف كان وضعه خلال دوران الكواكب والأفلاك؟
مع العلم أن المسافة بين الشمس والمريخ مثلاً =(٢٢٨) مليون كم ، وبين بلوتو والشمس (٤٠٠٠) مليون ميل ، وهكذا في هذا الكون الفسيح ، حيث قدّر العلماء أن النور يستغرق (مئة ألف سنة ضوئية) ليصل بين طرفي المجرة اللبنية!! وللتوسّع في ذلك يراجع كتاب (تفكّر ساعة): للمؤلف.

موضع قدمه قرية ، وخطوه مفازة حتىٰ انتهىٰ إلى مكة ، وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت علىٰ موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به ، حتىٰ أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة ، حتىٰ بعث الله إبراهيم عليه السلام ، فبناه ، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾[1].

لكن ابن جرير ساق القصة دون أي تعليق، أو تبيان لدرجة الوضع!!

ورحم الله الحافظ ابن كثير عندما قال: ولم يجئ في خبر صحيح عن المعصوم ﷺ أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام ، ومن تمسك في هذا بقوله: ﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ فليس بناهض ولا ظاهر ، لأن مراده: مكان المقدر في علم الله تعالىٰ ، المقرر في قدرته ، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلىٰ زمان إبراهيم[2].

**٤ـ في هجران المرأة الناشز:**

في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾[3]، يقول أحد المفسّرين: معنىٰ ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ﴾: أكرهوهن علىٰ الجماع واربطوهن ، من هجر البعير إذا شدّة بالهجار!!

ويعلّق الزمخشري علىٰ ذلك بقوله: وهذا من تفسير الثقلاء[4].

وهذا أمر من الغرابة بمكان!! فإذا كانت الزوجة ناشزاً عاصيةً زوجها ، فكيف يقال له أن يكرهها علىٰ الجماع ، فإذا أبت وعاندت ، فعليه أن يربطها؟!

إنه مخالف لأبسط قواعد الشريعة ، والتي أمرت الزوج أن يرسل

---

(١) تفسير الطبري: ١/ ٤٢٨ ، والآية من سورة الحج: ٢٦.
(٢) البداية والنهاية: ٢/ ٢٩٩.
(٣) النساء: ٣٤.
(٤) الكشاف: ٢/ ٧٠.

رسولاً إلىٰ زوجته قبل أن يواقعها: من كلمة جميلة ، وابتسامة بريئةٍ ، أو هدية ما أو قُبلة ونحو ذلك ، وبالتالي فهو مخالف للغة العربية وسياق المناسبة.

فلو قرأ أمثال هذا الهراء مستشرق أو حاقد أو جاهل ، أفعليه وزر إن ضرب زوجته أو عدّها في عداد الحيوانات؟!

ومن هنا نفهم السرّ وراء الحملات المسعورة والتي توجّه ضد هذا الدين، وتتهمه في مسألة ظلم المرأة، وللمسلمين دور كبير ـ وللأسف ـ في ترويج ذلك كله!!

**٥ـ قصة القوم الجبّارين:**

في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾[1] أورد المفسرون إسرائيليات وبدعاً وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان، من ذلك ما أورده السيوطي عن أبي ضمرة قال: استظل سبعون رجلاً من قوم موسىٰ في خفّ رجل من العماليق!![2]

وما أورده ابن جرير الطبري عن ابن عباس قال: أُمر موسىٰ أن يدخل مدينة الجبارين ، فسار بمن معه ، حتىٰ نزل قريباً من المدينة ، وهي (أريحاء) فبعث إليهم اثني عشر نقيباً ، من كل سبط منهم عين ، ليأتوه بخبر القوم ، فدخلوا المدينة ، فرأوا أمراً عظيماً من هيبتهم ، وجسمهم وعظمهم ، فدخلوا حائطاً ـ بستاناً ـ لبعضهم ، فجاء صاحب الحائط ليجني الثمار ، فنظر إلىٰ آثارهم فتبعهم ، فكلما أصاب واحداً منهم أخذه ، فجعله في كمه مع الفاكهة وذهب إلىٰ ملكهم ، فنثرهم بين يديه ، فقال الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا ، اذهبوا فأخبروا صاحبكم ، قال: فرجعوا إلىٰ موسىٰ فأخبروه بما عاينوه من أمرهم ، فقال: اكتموا

---

(١) المائدة: ٢٢.

(٢) الدر المنثور: ١/ ٢٧.

عنا ، فجعل الرجل يخبر أخاه وصديقه ، ويقول: اكتم عني ، فأُشيع في عسكرهم ، ولم يكتم منهم إلاّ رجلان: يوشع بن نون ، وطالب بن يوحنا ، وهما اللذان أنزل الله فيهما: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾[1].

ثم ينقل ابن جرير عن مجاهد أن عنقود عنبهم لا يحمله إلا خمسة أنفس ، بينهم في خشبة ، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس وأربعة!![2]

ويلحق في هذا قصة محشوة بالأباطيل والإسرائيليات ، وهي قصة: عوج بن عوق.

ذكر المفسرون: أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع ، وأنه كان يمسك الحوت ، فيشويه في عين الشمس ، وأن طوفان نوح لم يصل إلىٰ ركبتيه ، وأنه امتنع عن ركوب السفينة مع نوح ، وأن موسىٰ كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ، ووثب في الهواء عشرة أذرع ، فأصاب كعب عوج فقتله ، فكان جسراً لأهل النيل سنة و..!!!

فهل يسمىٰ هذا تفسيراً للقرآن وهو يخالف القرآن ذاته؟!

وذلك كلام الله في القرآن وهو يحدثنا عن دعاء نوح علىٰ قومه: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[3] ثم يحدثنا عن مصارع الكافرين جميعاً: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[4].

ومعلوم أن الله أغرق ابن نوح لأنه عاند وتكبّر ورفض الركوب مع المؤمنين ، وهذا ما أكّده القرآن في عدة مواضع ، منها قوله تعالىٰ:

---

(١) المائدة: ٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ٦/ ١١٢.
(٣) نوح: ٢٦.
(٤) الشعراء: ١١٩ ـ ١٢٠.

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾[1].

فكيف يغرق ابن نوح ، وينجو بطل هذه القصة الخرافية وهو عوج بن عوق؟!

ثم من قام بحساب طوله هذا (٣٠٠٠ ذراع)؟!

علماً أن هذا يخالف الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وفيه قول الرسول ﷺ: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتىٰ الآن».

ورحم الله ابن كثير ، فقد ردّ علىٰ أمثال هذه الخرافات والبدع رداً قوياً ، واعتبرها كذباً وافتراءً[2].

**٦ـ خرافات في بعض القصص المتعلقة بالأنبياء عليهم السلام:**

مثال ذلك ما أورده البغوي وابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[3].

قال ابن جرير: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم ، وكفروا ، وكانوا اثني عشر سبطاً ، تبرأ سبط منهم مما صنعوا ، واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ، ففتح الله لهم نفقاً في الأرض ، فساروا ، حتىٰ خرجوا من وراء الصين ، فهم هنالك حنفاء مسلمون ، يستقبلون قبلتنا!![4].

وقال البغوي: هم قوم خلف الصين بأقصىٰ الشرق علىٰ نهر مجرىٰ

---

(١) هود: ٤٢ ـ ٤٣.
(٢) للتوسع يراجع تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١١٥.
(٣) الأعراف: ١٥٩.
(٤) تفسير الطبري: ٨/ ١٨٩.

الرمل يسمىٰ نهر الأردن ، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه ، يمطرون بالليل ويسقون بالنهار ويزرعون ، لا يصل إليهم منا أحد وهم علىٰ دين الحق ، وذُكر أن جبرائيل عليه السلام ذهب بالنبي ﷺ ليلة أسري به إليهم ، فكلمهم ، فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا ، فقال لهم: هذا محمد النبي الأمين فآمنوا به ، فقالوا: يا رسول الله إن موسىٰ أوصانا أن من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السلام ، فرد النبي ﷺ علىٰ موسىٰ وعليهم ، ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ، وأمرهم بالصلاة والزكاة ، وأمرهم أن يقيموا مكانهم ، وكانوا يسبتون ، فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت ، وقيل: هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي ﷺ ، والأول أصحّ!![1].

ورحم الله الدكتور محمد أبو شهبة عندما علّق علىٰ هذه الخرافة بقوله:

وأما ما ذكروه: فليس هناك ما يشهد له من عقل ، ولا نقل صحيح ، بل هو يخالف الواقع الملموس ، والمشاهد المتيقن ، وقد أصبحت الصين وما وراءها معلوماً كل شبر فيها ، فأين هم؟ ثم ما هذا النهر من الشهد؟! وما هذا النهر من الرمل؟! وأين هما؟! ثم أي فائدة تعود علىٰ الإسلام والمسلمين من التمسك بهذه الروايات التي لا خطام لها ، ولا زمام!؟ وماذا يكون موقف الداعية إلىٰ الإسلام في هذا العصر الذي نعيش فيه ، إذا انتصر لمثل هذه المرويات الخرافية الباطلة؟!

إن هذه الروايات لو صحت أسانيدها لكان لها بسبب مخالفتها للمعقول ، والمشاهد الملموس ما يجعلنا في حل من عدم قبولها ، فكيف وأسانيدها ضعيفة واهية؟![2].

---

(١) تفسير البغوي: ٢/٢٠٦.

(٢) الإسرائيليات: ٢٠٨.

٧ـ قصة سفينة نوح عليه السلام:

في كتب التفاسير بدع وأباطيل وإسرائيليات ، خلال الأحاديث عن سفينة نوح عليه السلام ، إلىٰ درجة أنه يخيلّ للإنسان أن المفسرين كانوا من ركابها!!

أخرج ابن جرير ، وأبو الشيخ عن الحسن ، قال: كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومئتي ذراع ، وعرضها ستمئة ذراع.

وذكر ابن جرير عن ابن عباس قال: قال الحواريون لعيسىٰ عليه السلام: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة ، فحدثنا عنها ، فانطلق بهم ، حتى انتهىٰ إلىٰ كثيب من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب ، قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: هذا كعب بن حام بن نوح ، فضرب الكثيب بعصاه ، قال: قم بإذن الله ـ فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه؛ قد شاب ، قال له عيسىٰ عليه السلام: هكذا هلكت؟! قال: لا ، مت وأنا شاب ، ولكنني ظننت أنها الساعة قامت ، فمن ثم شبت ، قال: حدثنا عن سفينة نوح ، قال: كان طولها ألف ذراع ومئتي ذراع ، وعرضها ستمئة ذراع ، كانت ثلاث طبقات ، فطبقة فيها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثرت أرواث الدواب ، أوصىٰ الله إلىٰ نوح: أن اغمز ذنب الفيل ، فغمزه ، فوقع منه خنزير وخنزيرة!!

فأقبلا علىٰ الروث ، فلما وقع الفأر يخرب السفينة بقرضه أوحىٰ الله إلىٰ نوح: أن اضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سنور ، وسنورة ، فأقبلا علىٰ الفأر فأكلاه!!

وفي رواية أخرىٰ:

أن الأسد عطس ، فخرج من منخره سنوران: ذكر وأنثىٰ ، فأكلا الفأر ، وأن الفيل عطس ، فخرج من منخره خنزيران ، ذكر وأنثىٰ فأكلا

أذىٰ السفينة ، وأنه لما أراد الحمار أن يدخل السفينة أخذ نوح بأذني الحمار ، وأخذ إبليس بذنبه ، فجعل نوح عليه السلام يجذبه ، وجعل إبليس يجذبه ، فقال نوح: ادخل شيطان ـ ويريد به الحمار ـ فدخل الحمار ، ودخل معه إبليس ، فلما سارت السفينة جلس إبليس في أذنابها يتغنىٰ ، فقال له نوح: ويلك من أذن لك؟!

قال: أنت! قال: متىٰ؟ قال: أنتَ قلت للحمار ادخل يا شيطان ، فدخلت بإذنك.

وزعموا أيضاً:

أن الماعز لما استصعبت علىٰ نوح أن تدخل السفينة فدفعها في ذنبها ، فمن ثم انكسر ، وبدا حياها ، ومضت النعجة فدخلت من غير معاكسة ، فمسح علىٰ ذنبها ، فستر الله حياهاـ يعني فرجها ـ!!

وزعموا أيضاً: أن سفينة نوح عليه السلام طافت بالبيت أسبوعاً! بل رووا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ: «إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً ، وصلت عند المقام ركعتين».

وزعموا أيضاً: أنه لما رست السفينة علىٰ الجودي وكان يوم عاشوراء صام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكراً لله!!![1].

هل هذه القصة وأمثالها توضع في كتب تفسير كتاب الله تعالىٰ؟! ثم ما هو الدليل علىٰ أمثال هذه التفاصيل حول طول وعرض سفينة نوح ، ثم من الذي نقل ما جرىٰ ضمن السفينة؟

وبالتالي ما هي الفائدة المرجوة من حشو كتب التفاسير بأمثال هذه

---

(١) تفسير الطبري: ١٢/ ٢١ ـ ٢٨ ، وكذلك الدر المنثور: ٣/ ٣٢٧ ـ ٣٣٢.

التفاهات والمغالطات والبدع التي لا ترقىٰ إلى أن تكون قصة خيالية للأطفال؟!

**٨ـ في قصة يوسف عليه السلام:**

في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1].

أباطيل وإسرائيليات وبدع ساقها المفسرون، وهي لا توافق النقل الصحيح ولا العقل السليم، وتتنافىٰ مع عصمة أنبياء الله عليهم السلام، وهذه من القضايا التي لا تتسامح الشريعة معها، إذ ليست المسألة متعلقة برجل عادي، إنما هي بنبي ابن نبي ابن نبي عليهم السلام، وسأنقل ما جاء في الدر المنثور لنرىٰ إلىٰ أي درجة وصل التهاون واللامبالاة أمام مقام المعصومين عليهم السلام:

أخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما همّت به، تزينت ثم استلقت على فراشها، وهمّ بها وجلس بين رجليها يحلّ تبانه، نودي من السماء: يا بن يعقوب! لا تكن كطائر ينتف ريشه، فبقي لا ريش له، فلم يتعظ علىٰ النداء شيئاً حتىٰ رأىٰ برهان ربه جبريل عليه السلام في صورة يعقوب عاضاً علىٰ أصبعيه، ففزع فخرجت شهوته من أنامله، فوثب إلىٰ الباب فوجده مغلقاً، فرفع رجله فضرب بها الباب الأدنىٰ فانفرج له، واتبعته فأدركته، فوضعت يديها في قميصه فشقته حتىٰ بلغت عضلة ساقه، فألفيا سيدها لدىٰ الباب!!

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا﴾، قال: طمعت فيه وطمع فيها، وكان

---

(١) يوسف: ٢٤.

من الطمع أن همّ بحل التكة ، فقامت إلىٰ صنم مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت ، فسترته بثوب أبيض بينها وبينه ، فقال: أي شيء تصنعين؟!

فقالت: أستحي من إلهي أن يراني علىٰ هذه الصورة ، فقال يوسف عليه السلام: تستحين من صنم لا يأكل ولا يشرب ، ولا أستحي من إلهي الذي هو قائم علىٰ كل نفس بما كسبت؟!

ثم قال لها: لا تناليها مني أبداً ، وهو البرهان الذي رأىٰ!!

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ قال: حلّ سراويله حتىٰ بلغ ثنته ، وجلس منها مجلس الرجل من امرأته ، فمثل له يعقوب عليه السلام ، فضرب بيده علىٰ صدره فخرجت شهوته من أنامله!!

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: رأىٰ صورة أبيه يعقوب في وسط البيت عاضاً علىٰ إبهامه ، فأدبر هارباً وقال: وحقك يا أبت لا أعود أبداً!!

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة وسعيد بن جبير في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: حلّ السراويل وجلس منها مجلس الخاتن ، فرأىٰ صورة فيها وجه يعقوب عاضاً علىٰ أصابعه ، فدفع صدره فخرجت الشهوة من أنامله ، فكل ولد يعقوب قد ولد له اثنا عشر ولداً ، إلا يوسف عليه السلام نقص بتلك الشهوة ولداً ، ولم يولد له غير أحد عشر ولداً!!!

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن رضي الله

عنه في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: رأىٰ يعقوب عاضاً علىٰ أصابعه يقول: يوسف يوسف!!

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: تمثل له يعقوب فضرب في صدر يوسف، فطارت شهوته من أطراف أنامله، فولد لكل ولد يعقوب اثنا عشر ذكراً، غير يوسف لم يولد له إلا غلامان!!

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه في الآية قال: رأىٰ آية من آيات ربه، حجزه الله بها عن معصيته، ذكر لنا أنه مثل له يعقوب عاضاً علىٰ أصبعيه وهو يقول له: يا يوسف، أتهمّ بعمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فذلك البرهان، فانتزع الله كل شهوة كانت في مفاصله!!

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال: البرهان الذي رأىٰ يوسف عليه السلام، ثلاث آيات من كتاب الله ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1] وقول الله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[2] وقوله الله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[3].

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ، عن محمد بن كعب قال: رأىٰ في البيت في ناحية الحائط مكتوباً: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[4].

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن وهب بن منبه رضي الله عنه قال:

---

(١) الانفطار: ١٠/١٢.
(٢) يونس: ٦١ ـ ٦٢.
(٣) الرعد: ٣٣.
(٤) الإسراء: ٣٢.

لما خلا يوسف وامرأة العزيز ، خرجت كف بلا جسد بينهما ، مكتوب عليه بالعبرانية: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[1] ثم انصرفت الكفّ وقام مقامها ، ثم رجعت الكفّ بينهما ، مكتوب عليها بالعبرانية: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2] ثم انصرفت الكفّ وقاما مقامها ، فعادت الكف الثالثة ، مكتوب عليها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[3] وانصرفت الكف وقاما مقامهما ، فعادت الكف الرابعة ، مكتوب عليها بالعبرانية: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4] فولىٰ يوسف عليه السلام هارباً!!

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: آيات ربه ، رأىٰ تمثال الملك!![5].

أهكذا تكون كتب تفسير كلام الله سبحانه ، روايات أقرب إلىٰ الخيال والمنامات ، وتحليلات لا تليق برجل عادي ، فكيف يقبلها الحفاظ والرواة والمفسرون والمحدّثون إذا ألصقت بنبي ابن نبي؟!

ألا يحق للعاقل أن يتساءل: كيف تكتب آيات من القرآن باللغة العبرية قبل أن ينزل القرآن بآلاف السنين؟!

وإذا كان يوسف المعصوم هرب عندما رأىٰ صورة أبيه ، فماذا يفعل الرجل العادي؟!

ثم ما هو فضله إذا كانت شهوته قد خرجت من أصبعه أو أنامل قدميه؟

---

(١) الرعد: ٣٣.
(٢) الانفطار: ١٠ ـ ١٢.
(٣) الإسراء: ٣٢.
(٤) البقرة: ٢٨١.
(٥) الدر المنثور: ٤/٥٢١ ـ ٥٢٤ ، جامع البيان للطبري: ١٢/١٨٣ ـ ١٩١.

ثم كيف يروىٰ: مرةً أنه لم يبق له إلا أحد عشراً ولداً ، ثم مرة أخرى غلامين اثنين؟!

ثم أليس كلام المفسرين عن مراودته إياها يناقض القرآن الكريم وهو يحدثنا عن اعتراف زليخا بأنها هي التي راودته: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1] أو ليس الكلام الواضح في القرآن عن دخوله السجن يدل دلالة قاطعة علىٰ نزاهته وعصمته: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2].

أجل!!

إن أنبياء الله ورسله أعلىٰ من أن يهمّ أحدهم بارتكاب الفاحشة ـ والعياذ بالله ـ فهم الصفوة المختارة ، الذين عصمهم الله تعالىٰ.

وكان الأجدر بالأئمة الأعلام كالسيوطي والطبري والبغوي والواحدي والثعلبي وغيرهم أن ينزّهوا كتب التفسير عن أمثال هذه الخرافات والضلالات والإسرائيليات ، وإلا ما الفائدة من أن يفرد الطبري قرابة ثماني صفحات في سرد أمثال هذا الهراء؟!!

**٩ـ في إفساد بني إسرائيل:**

أطنب المفسرون في الحديث عن إفساد بني إسرائيل مرة تلو مرة ، وذكروا ما أنزل الله بها من سلطان ، وسردوا أسماء مسميات ونحو ذلك.

ولدىٰ البحث يتبين أن مردّ ذلك إلىٰ الإسرائيليات والأباطيل!!

فالإمام السيوطي واين جرير الطبري وغيرهم فصّلوا تفصيلات

---

(١) يوسف: ٥١.

(٢) يوسف: ٣٣ ـ ٣٤.

عجيبة[1] ، لكن الحافظ ابن كثير ردّ ذلك كله ، معتبراً إياه مع الموضوعات والكذب[2].

وقد أورد القرآن الكريم الحكاية بشكل مجمل دون التعرّض لأمثال تلك التفصلات ، قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾[3].

فأيهما أفضل: التوقّف عند المنقول الصحيح وعدم الدخول في هذه التفريعات والجزئيات ، أو النقولات عن وهب بن منبه وأمثاله؟!

وما هي الفائدة من سرد ثلاث صفحات من صفحات التفسير ، والطبري ينقل لنا روايات وقصصاً عجيبة تشبه الأساطير والخيال عن بختنصّر وأفعاله؟!

**١٠ـ قصة أهل الكهف:**

قص البيان الإلهي القصص لهدف أسمىٰ ، وهو ما ذكره القرآن ذاته ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وأكد الهدف من تدرج الآيات وذكر القصص في القرآن ، فقال

---

(١) تفسير الطبري: ١٥/٢٩ ، الدر المنثور للسيوطي: ٤/١٦٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤/٢٤٦.
(٣) الإسراء: ٤ ـ ٨.
(٤) هود: ١٢٠.

تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[1].

لكن مما يؤسف له أن غالبية كتب التفاسير تحدثت عن أمور فرعية ما أنزل الله بها من سلطان ، واستفاض بعض المفسرين في نقل روايات تتحدث عن الأمر الذي ما ذكره القرآن أبداً!!

ففي قصة أهل الكهف بدل أن يحدثنا المفسرون عن العبرة من ذكر الله لقصتهم في القرآن ، وخاصة تركيز العقيدة في النفوس ، من خلال التعلّق بالله وعدم الخوف ممن سواه ، بدل ذلك أطنب واحد من المفسرين كالإمام السيوطي في نقل روايات تتحدث عن لون الكلب! واسمه! وعدد أهل الكهف! ومكانهم!!!

والطامة الكبرىٰ أنه نقل روايات بنىٰ أصحابها علىٰ ذلك استنباطات لا ترقىٰ إلىٰ درجة جديرة لأن تكون من قصص الخيال للأطفال!!

من ذلك ما رواه السيوطي عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[2].

قال: أنا من القليل ، مكسلمينا وتمليخا ، وهو المبعوث بالورق إلىٰ المدينة ، وعرطوس ونينوس ودردوتس وكفاشطهواس ونطفوا سيسوس ، وهو الراعي ، والكلب اسمه قطمير ، دون الكردي وفوق القبطي الألطم ، قال أبو عبد الرحمن: بلغني أن من كتب هذه الأسماء في شيء وطرحه في حريق سكن الحريق!!!

وينقل الحافظ السيوطي أمثال هذه الرواية ، وهي تتعلق بالأمور التي أمرنا الله سبحانه وتعالىٰ بعدم البحث عنها ، مثال ذلك:

---

(١) الفرقان: ٣٢.

(٢) الكهف: ٢٢.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[1].

قال: اسم كلبهم قطمور!

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: اسم كلب أصحاب الكهف: قطمير!

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: قلت لرجل من أهل العلم: زعموا أن كلبهم كان أسداً، قال: لعمر الله ما كان أسداً، ولكنه كان كلباً أحمر خرجوا به من بيوتهم يقال له: قطمور!

وأخرج ابن أبي حاتم عن كثير النواء قال: كان كلب أصحاب الكهف أصفر!!

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سفيان قال: قال رجل بالكوفة يقال له عبيد، وكان لا يتّهم بالكذب، قال: رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر كأنه كساء أنبجاني!!!

لكن، هل هكذا يفسّر القرآن الكريم؟!

إن من العجب الذي لا ينتهي أن يلجأ مفسرون كبار إلىٰ تسويد عدد لا بأس به من الصحف ضمن أمثال هذه القصص الخيالية.

والأنكىٰ من ذلك أن توثّق القصة بمصطلحات كبيرة (مثل: وكان لا يتهم بالكذب)، ثم ينقل لك أنه رأىٰ كلب أهل الكهف أحمر اللون!!

ألم يخطر ببال أولئك العمالقة: كيف عاش كلب أهل الكهف آلاف السنين؟!

---

(١) الكهف: ١٨.

وكيف رآه رجل في العصر الأموي أو العباسي ولم يره أحد من الصحابة الكرام؟!

علماً أن سياق القصة في القرآن أشارت إلىٰ عدم ابتداع أمثال هذه الأمور ، فلا فائدة من البحث في عدد أهل الكهف: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾[1].

وحتماً كانت الفائدة أكبر لو ذكر لنا السيوطي وابن جرير وغيرها الهدف من القصة ، وحصروا الأمر بما جاء في القرآن الكريم ، لكن وللأسف!![2].

**١٠ـ في قصة يأجوج ومأجوج:**

خلط المفسرون في سياق تفصيلات وتعريفات هذه القصة خلطاً كبيراً ، وتكلموا عن: عددهم ، وطولهم ، وطريقة أكلهم ، ونحو ذلك ، والنقل الصحيح والعقل السليم يكذب ذلك كله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله!![3].

**١١ـ قصة بلقيس ملكة سبأ:**

وقد ذكرها القرآن الكريم بشكل تفصيلي ، كما في سورة النمل: / ٣٢ ـ ٤٤/ .

وكالعادة سوّد المفسرون صحائف عديدة وهم يتحدثون عن الهدية التي أرسلتها إلىٰ النبي سليمان! وتكلموا عن عدد الجواري والغلمان الذين حملوا الهدية!!

---

(١) الكهف: ٢٢.

(٢) للتوسع: الدر المنثور ٤/ ٢١١ ، جامع البيان للطبري: ١٥/ ١٣٣.

(٣) للتوسع: الدر المنثور: ٤/ ٢٥١.

ثم أكثروا من الروايات في اسم الذي جاء بعرشها إلىٰ المكان الذي يجلس فيه سليمان ، مثال ذلك ما أورده الحافظ السيوطي:

أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي صالح في قوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾[1] قال: عظيم كأنه جبل!

وأخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن شعيب الجبائي قال: كان اسم العفريت كوزن!

وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن رومان قال: اسمه كوزي!

وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن رومان في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾[2].

قال: هو آصف بن برخيا ، وكان صدّيقاً يعلم الاسم الأعظم!

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد: كان اسمه أسطوم!

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن لهيعة قال: هو الخطر!

وأخرج ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد قال: هو رجل من الإنس يقال له: ذو النور! وأخرج ابن عساكر عن الحسن قال: هو آصف بن برهيا بن مشعيا بن منكيل ، واسم أمه باطورا من بني إسرائيل!

أما كيف استطاع هذا العملاق أن ينقل عرش بلقيس ، فإليك بقية الحكاية: أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن عساكر عن ابن عباس قال: لم يجر عرش صاحبة سبأ بين الأرض والسماء ، ولكن انشقت به الأرض فجرىٰ تحت الأرض حتىٰ ظهر بين يدي سليمان!!

وهكذا يفصّل المفسرون هذه القصة تفصيلاً غريباً ، بحيث يضعون

---

(١) النمل: ٣٩.

(٢) سورة النمل: ٤٠.

لكل جزئية روايات عدة حتىٰ إذا ما انتهت القصة ، أرادوا أن يثبتوا لك صحتها وصدقها فقالوا:

عن الأوزاعي قال: كسر برج من أبراج تدمر ، فأصابوا فيه امرأة حسناء دعجاء مدمجة كأن أعطافها طيّ الطوامير ، عليها عمامة طولها ثمانون ذراعاً ، مكتوب علىٰ طرف العمامة بالذهب: (بسم الله الرحمن الرحيم) أنا بلقيس ملكة سبأ زوجة سليمان بن داود ، ملكت الدنيا كافرة ومؤمنة ، مالم يملكه أحد قبلي ولا يملكه أحد بعدي ، صار مصيري إلىٰ الموت فأقصروا يا طلّاب الدنيا[1].

بعد ذلك كله نقول: ألم يكن الأجدر بكتب التفسير أن تنزّه عن مثل هذا اللغط واللغو والإسرائيليات والموضوعات؟

أو كان ينقص المسلمين أمثال هذا الترف في القول والكتابات؟ ولماذا لم توجّه طاقات المفسرين والعلماء إلىٰ البحث في كل ما يفيد من قرآن وسنة ونحو ذلك؟!

**١٢ـ قصة داود عليه السلام:**

والتي ذكرها القرآن بشكل تفصيلي ، كما في سورة ص: /٢١ ـ ٢٥/ لكن التوسع كان في قضايا هامشية ، بل فيها طعن بعصمة أنبياء الله عز وجل بحيث تصوّر الروايات مكر نبي الله داود ، فلما أمات النبيُّ داود زوجَ المرأة الجميلة تزوجها داودُ ، ولما ندم داود علىٰ فعله ، هبط عليه ملك من ملائكة الله ، فسجد ، ومكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه علىٰ رأسه ، فأكلت الأرض جبينه ، وهو يقول في سجوده: ربّ زلّ داود زلةً أبعد مما بين المشرق والمغرب!![2].

---

(١) للتوسع يراجع: الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي: ٦/ ٣٤٨ ـ ٣٦٧.
(٢) للتوسع يراجع الدر المنثور: ٧/ ٢٤٥.

وحاشا أن يتم ذلك مع نبي معصوم.

**١٣ـ قصة أيوب عليه السلام:**

تحدث المفسرون عن المرض الذي أصابه، وبالغوا في ذلك، حتىٰ ذكروا أموراً لا دليل عليها، وبالتالي تنافي مهام النبي وعصمته ومقامه المحمود، من ذلك ما رواه الإمام السيوطي عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[1].

قال: ذهاب الأهل والمال، والضر الذي أصاب في جسده، قال: ابتلىٰ سبع سنين وأشهراً، فألقي علىٰ كناسة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن!![2]

هل تُقبل هذه الرواية المتعلقة بنبي معصوم، حتىٰ لو رواها قتادة أو أبوه أو ما إلىٰ هنالك؟!

إننا لا نقبلها لعالم أو صالح، فكيف نقول إن نبياً معصوماً له مهمة تبليغ الناس رسالة الله، كيف يقال: إنه ألقي علىٰ القمامة سنوات، وأن الدود والدواب كانت تأكل من جسده، وأن الناس ابتعدوا عنه؟! فكيف يبلغ رسالة الله للناس وهو علىٰ ذلكم الحال الذي لا يُطاق ولا يتصوّر؟!

وهكذا الحال في كثير من القصص التي رواها المفسرون، ومن أراد التوسّع فليرجع إلىٰ ما كتبوا حول:

قصة إرم ذات العماد، أو بما يتعلّق بعمر الدنيا وبدء الخلق، وخلق الشمس والقمر، وبعض الظواهر الكونية كالرعد والبرق والصواعق، والحديث عن جبل قٰ المحيط بالكون كله وما إلىٰ هنالك!!

---

(١) ص: ٤١.

(٢) للتوسع: الدر المنثور: ٧/ ٢٦٣.

إذاً:

إذا كانت غالبية كتب التفاسير مليئة بالإسرائيليات والموضوعات والخرافات والقصص الخيالية ، أليس الأجدر بنا أن نعود إلىٰ المفسّر الأول للقرآن الكريم وهو خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام؟

نعم ، فالعودة إلىٰ الأصول من الأصول ، وليس أخبر بكتاب الله بعد الله غير رسول الله ﷺ.

من هنا كانت فكرة إظهار التفسير النبوي الصحيح ، حيث الاعتماد محصور بما ورد من أحاديث صحيحة ، بعيداً عن الحشو والتضخيم.

ولعل من المفيد أن نتّبع التسلسل القرآني ، موردين ذلك شرحاً وحفظاً ، معترفين أن هذا العمل لا يناسب الكثيرين ، لكن ما دام العمل مبنياً علىٰ النحو الذي قال نبي الله شعيب عليه السلام وهو يخاطب قومه الذين رفضوا مقولاته: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1].

معتذراً من ساداتنا العلماء المفسرين ، والذين تعبوا كثيراً من أجل جمع هذه المعلومات حول ما يتعلق بكتاب الله ، سائلاً من الله أن يسامحني إن أخطأت ، وأن يجعل الرحمات تتبع كل العلماء العاملين المخلصين.

* * *

(١) هود: ٨٨.